النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٧ / ٢٠٠٠

الأحد ١٦ نيسان

أحد الشعانين

تذكار القديس المعظّم في الشهداء
جاورجيوس المجيد اللابس الظفر

الـــرســـالـــة (فيليبي ٤ : ٤- ٩)
الإنـــجـــيـــل (يوحنا ١٢ : ١ - ٨)

+ حول أحد الشعانين

إن أعيادنا الكنسيَّة أصبحت للأسف أعياداً ذات طابع شعبي يغلب عليـــها الفولكـــور المحلي المسيء الى فحواها الأساسي في أوقات كثيرة.

نعرف أن الأحداث الإنجيلية أو العجائب التي صنعها الرب يسوع ليست سوى إبـــراز للعمل الخلاصي الذي من أجله تجسّد ابن الله الذي يريد أن " جميع الناس يخلصـــون والـــى معرفة الحق يقبلون " (١ تيمو ٢:٤) لكن الأصوام والصلوات والاهتمامات الروحية صـــارت مقتصرة على بعض المؤمنين الذين يجاهدون بفرح، سائرين على خطـــى القديســـين الذيـــن

سبقوهم. وقد ظهرت انحرافات كثيرة تتناول الممارسات الدينية عند البعض حتى صار ما هو شائع كأنه هو الصواب، وإذا مرّ العيد ولم ينخرط المؤمن العادي في ما هو شائع يشعر بـــأن مسيحيّته متزعزعة وبأن العيد فَقَد نكهته.

فقد ارتبطت بعض الأعياد مثلاً بنوعية معينة من المأكولات أو الحلوى أو الألعـــاب، وإذا طرأ عليها بعض التغيير أحسّ المؤمن البسيط بأن هذه الأعياد خرجت من تقاليدها. وهذا أمر مؤسف إذ عوض أن يكون مفهوم الكنيسة للتقليد الشريف واضحاً لكل المؤمنين، أصبـــح لهؤلاء المؤمنين تقاليد بشرية غير واضحة المعاني ولا تستند الى أي أساس كنسي أصيل. وقد حاول آباء الكنيسة، منذ القديم وحتى أيامنا، إرشاد المؤمنين حول كيفية الاحتفـــال بالأعيـــاد لتكون شريفة حقاً، ولكن عبثاً ، إذ يلاحظ قارىء التاريخ أن عظات القديس يوحنا الذهبي الفم أو القديس غريغوريوس اللاهوتي وغيرهما تناسب حاضرنا مثلما كانت مناســبة لحـــاضرهم وكأن العديد من أبناء الكنيسة يصرّون بعناد على الخطأ، وكأن النصوص الإنجيلية كُتبت لقلّـة لا لكل المؤمنين بيسوع ابن الله الوحيد. ولا بد من التذكير بأن النصـــوص الإنجيليـــة تُقـــرأ بترتيب في الخِدَم اليومية في السَحَر والقداس الإلهي، على مدار السنة، وتكون مرتبطـــة إمـــا بالعيد اليومي المعيَّد له، أو لا تكون مرتبطة به وتُقرأ لنشر تعليم الرب يسوع كلـــه وأفعالـــه الخلاصية.

من أبرز الإعياد التي يحتفل بها الشعب عيد الشعانين، الذي أصبح في عرف الكثيرين عيد أو عيد الثياب الجديدة أو عيد تزيين الشمع بأغصان الزيتـــون أو النخيـــل والأشـــرطة الملوّنـــة بالإضافة الى الزياح الذي يتمنّاه المشاركون طويل المسافة قدر الإمكان ليشعروا بالعيد. (هنـــا لا بد من التذكير بأن كنائس اليونان وروسيا لا تُقيم الزياح لأنه غير مرتبط بالعيد).

ما هي حقيقة عيد الشعانين ؟ وكيف يجب تعييده ؟

قبل الإجابة نلفت إلى أن الأناجيل الأربعة تتكلّم على هذا العيد بتفاصيل تختلف مـــن إنجيل إلى آخر لكنها جميعها تهدف إلى إبراز المعاني اللاهوتية للعيد (أنظر متى ٢١:١-١٧؛ مر ١١:١-١٠؛ لو ١٩:٢٨-٤٠؛ يو ١٢:١٢-١٦).

لقد أصبح عيد الشعانين مرادفاً، في بعض اللغات، لـــ "أحد الأغصان أو السُعف" كمـــا في الفرنسية Dimanche des Rameaux أو في الإنكليزية Palm Sunday أو حتى في اليونانيـــة Vaïon وضاع المعنى الحقيقي للعيد إما عن جهل أو عن تحريف (غير مقصود) في معنـــاه. وكمـــا نعرف، فإن اللغتين العربية والعبرية هما من اللغات السامية أي أن جذورهما واحدة ومتقاربـــة ولهذا فإن كلمة "شعانين" هي جمع كلمة "شعنينة" التي نُحتت من كلمة "هوشعنا" العبرية وتعني

"يا رب خلصنا"، وهذه العبارة كانت تطلق في العهد القديم كصرخة إلى الله ليمنح المصلي المعونة والنجاح (مز ١١٨:٢٥).

بعد سقوط هيكل أورشليم اكتسبت معنى ماسيانيا وكانت إذا قيلت لأحد ما فهذا يعني أنه ماسيا المنتظر الآتي باسم الرب الذي سيفتدي شعبه ويخلصه، وقد أطلقت عند دخول الرب يسوع إلى أورشليم: "هوشعنا مبارك الآتي باسم الرب". هل نعي هذا القول في تعييدنا لأحد الشعانين ونقر بأن يسوع أتى ليخلصنا؟ وهل نتذكر أن اسم الرب "يسوع" الذي أعطي له عند ولادته، يعني "الرب يخلص"، ويزيد الإنجيلي متى بأنه "يخلص شعبه من خطاياهم" (متى ١:٢١).

أحد الشعانين هو الأحد الذي يقود إلى الخلاص، وقد رتبت الكنيسة أن يسبقه استعداد المؤمنين خلال الصوم الأربعيني المقدس من أجل دخولهم أورشليم مع المسيح والمشاركة بآلامه الخلاصية المنتهية بقيامته من بين الأموات لخلاصنا وقيامتنا معه. هذا يعني أنه عيد الجميع وليس عيد الصغار كما أصبح شائعا. هنا من المفيد التذكير بما تعلمه الكنيسة الأرثوذكسية: "هوشعنا مبارك الآتي باسم الرب" الواردة في القداس الإلهي هي تعبير البشر جميعا عن تسبيح الله المثلث التقديس الذي يرافق نشيد الملائكة القائلين "قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت، السماء والأرض مملوءتان من مجدك"، وما جمع هذين النشيدين إلا لتأكيد اتحاد السماء والأرض في الخدمة الليتورجية لتكون الخليقة كلها مشتركة في تسبيح شكري واحد لله. أما الزياح ومشاركة الأولاد فيه فيعود أصله إلى تقليد قديم في كنيسة أورشليم. ولعل قراءة مقطع من مذكرات الرحالة الإسبانية "ايثريا" التي زارت الشرق وشاركت في صلوات فترة الصوم الكبير والأسبوع العظيم في منطقة أورشليم، توضح لنا هذا التقليد المتعلق بأحد الشعانين الجاري سنة ٣٨٤م. تقول: "في الساعة السابعة يصعد الشعب كله مع الأسقف إلى جبل الزيتون، إلى الكنيسة، فينشدون ترانيم وأنديفونات مناسبة للزمان والمكان، وكذلك قراءات. وعندما تحين الساعة التاسعة، يتوجهون على أنغام الترانيم إلى الامبون، أي الموضع الذي صعد منه الرب إلى السماء، وهناك يجلسون، لأن الجمع يدعى دائما إلى الجلوس، بحضور الأسقف، ويبقى الشمامسة وحدهم واقفين. وهنا أيضا تنشد الترانيم والأنديفونات المناسبة للمكان والزمان، وكذلك القراءات التي تتخللها، والصلوات. وعندما تحين الساعة الحادية عشرة، يتلى نص الإنجيل حيث سارع الأولاد، حاملين أغصانا وسعفا، أمام الرب وقائلين: "مبارك الآتي باسم الرب". فيقف الأسقف للحال ومعه الشعب كله وينحدرون من قمة جبل الزيتون، سيرا على الأقدام، وعلى أنغام الترانيم والأنديفونات يسير الشعب كله أمام الأسقف، مرددين على الدوام: "مبارك الآتي باسم الرب". وجميع الأولاد الصغار، في البلد،

حتى الذين لا يقوون على السير لصغر سنهم فيحملهم والدوهم على أكتافهم، جميعهم يمتشقون أغصاناً، هؤلاء من النخيل وأولئك من الزيتون، ويواكبون هكذا الأسقف على نحو ما واكب الشعب الرب يسوع في ذلك النهار. فمن أعلى الجبل إلى المدينة، ومن هناك، عبر المدينة، إلى كنيسة القيامة، يسير الجميع على الأقدام، حتى السيدات والأعيان، ويواكبون الأسقف مردّدين اللازمة، أو الردة. وهكذا يسيرون الهوينا، لئلا يكلّ الشعب، فلا يبلغون كنيسة القيامة إلا وقد مال النهار. ولدى وصولهم، وإن كان الوقت متأخراً تُضاء الشموع وتُقام صلاة في كنيسة الصليب، ثم يصرف الشعب."

تبرز هذه الشهادة القديمة مشاركة الشعب كله في الزياح، أما الصغار فكان والدوهم يحملونهم على أكتافهم بسبب طول المسافة من أعلى جبل الزيتون إلى كنيسة القيامة. العيد إذاً هو عيد الجميع لا الصغار حصراً، لأن الخلاص إنما هو خلاص كلّ المؤمنين بيسوع ابن الله القائم من بين الأموات، كباراً وصغاراً، المشتركين جميعاً بدفنه وقيامته بالمعمودية. أما تخصيص بعض الأعياد أو بعض المأكولات لاعتبارات معينة فهذا من صنع البشر لا من صنع الله. ينبغي إذاً أن نطيع الله أكثر من الناس كما قال رسل الرب جميعاً (أع ٥:٢٩).

ختاماً لا بد من القول أن الأكل واللباس والزينة ليست سوى تعبير عن التعييد لا التعييد نفسه، لأن الرب يقول: "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبِرّه وهذه كلها تزاد لكم" (متى ٦:٣٣).

+ قراءات الأسبوع العظيم

"إذاً قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح" (غلا ٣:٢٤).

من يقرأ الأناجيل المقدّسة وخاصة الإنجيل بحسب القديس متى يلاحظ ترداد العبارة "لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل" (متى ١:٢٢). لقد كانت كتابات الأنبياء في العهد القديم تُهيئ الطريق لمجيء المسيح المخلّص ليفتدي البشر. وتُقرأ مقاطع من هذه النبوءات أثناء الصلوات في الكنيسة لكي يحيا المؤمنون الحدث الخلاصي بكافة أبعاده منذ القديم إلى الآن.

أخطأ الإنسان في القديم لكن الله لم يتركه بل عمل معه لكي يعود إلى الملكوت المفقود. تاريخ الخلاص، الذي تُوِّج بتجسّد الرب يسوع، مدوَّن في العهد القديم. ولكي يفهم المؤمن الخلاص الحاصل له تُقرأ على مسامعه بعض المقاطع من العهد القديم التي تشير رمزياً إلى المسيح وعمله الخلاصي.

طبعاً نحن نقرأ اليوم العهد القديم على ضوء خبرة العهد الجديد. الناموس كان مؤدِّبنا للوصول إلى يسوع المسيح كما يعلّمنا الرسول بولس، وبالتالي نقرأ الناموس على ضوء خبرتنا مع المسيح القائم من بين الأموات. لذلك رأت الكنيسة في بقاء يونان النبي في جوف الحوت مدة ثلاثة أيام رمزاً لبقاء الرب يسوع في القبر لثلاثة أيام، ورأت في موسى المسيح، كما رأت في السلَّم الذي يصل الأرض بالسماء، الذي شاهده يعقوب في الحلم (تك ٢٨: ١٠-١٥)، العذراء مريم السلّم الذي ربط الأرض بالسماء لما تجسّد الإله منها. القراءات الكتابية في الأعياد عامة، وفي الأسبوع العظيم خاصة، هي لتهيئة المؤمن لاستقبال الأعياد وفهم الخلاص الحاصل لنا من خلالها.

من قراءات الأسبوع العظيم تلك المأخوذة من سفر الخروج. هذا السفر يتحدث عن قصة خلاص الشعب العبراني من نير العبودية في مصر. وهي ترمز إلى خلاصنا من نير العبودية للشياطين، لأن الله سوف يخلّصنا بيد عزيزة قوية. يوم الاثنين نقرأ من سفر الخروج ١: ١-٢٠ عن قيام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف العبراني الذي كان وكيل بيت فرعون في السابق فخاف من أن يسيطر العبرانيون على المصريون ويحكموا مصر فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف (١: ١٣)، وطلب فرعون من القابلات أن يقتلن كل صبي يولد للعبرانيين. يوم الثلاثاء نقرأ عن ولادة موسى وانتشاله من النهر ليتربّى في بيت ابنة فرعون (٢: ٥-١٠) ويوم الأربعاء نقرأ عن هروب موسى إلى البرية (٢: ١١-٢٢). يوم الخميس نقرأ عن إرسال الرب موسى إلى الشعب (خروج ١٩: ١٠-١٩) ليطهّروا أنفسهم ويكونوا مستعدين "لليوم الثالث" لأنه "في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء" (خر ١٩: ١١). ويوم السبت العظيم نقرأ عن إخراج الرب الشعب من أرض مصر، من العبودية إلى الحرية. إنه الفصح أي العبور، العبور من الموت إلى الحياة، وهذه صورة للفصح الذي منحنا إياه الرب يسوع إذ أجازنا من الموت إلى الحياة، من العبودية للشرير إلى حرية أبناء الله.

من قراءات الأسبوع العظيم أيضاً، القراءات من سفر أيوب الصدِّيق الذي عانى النكبات بفقدان أولاده وكل ما يملك، وعانى من المرض إذ تقرّح جسمه؛ وفي كل هذا "لم يخطئ أيوب (بشفتيه) ولم ينسب لله جهالة" (١: ٢٢). إنه صورة الرب يسوع الذي تألّم وصُلِب بدون سبب. الذين شفى مرضاهم وأقام أمواتهم هم صلبوه. بدل الخير بادلوه الشر، وبدل إقامة الموتى صلبوه على الصليب. وفي كل شيء لم يفتح يسوع فاه، بل كان يقول لله " لتكن مشيئتك ، لا مشيئتي ". لقد ظلّ أيوب متَّكلاً على الله في كل شيء، لذلك كافأه الله بالخيرات مضاعفة. يوم الجمعة العظيم، في صلاة الغروب، نقرأ الإصحاح الأخير من سفر أيوب حيث

يعوّض الله على أيوب أضعافاً مضاعفة: يلد سبعة بنين وثلاث بنات ويعيش ليرى بني بنيه إلى أربعة أجيال. يسوع في القبر ولكن قراءة سفر أيوب تشدّدنا إذ أن الله لا يترك الصدّيق، والقيامة آتية، وكل من ظنّ أن كل شيء انتهى، كما كاد يحصل مع أيوب، فإنه مخطئ لأن الرب قائم لا محالة، وسوف يعوّض الله عن الآلام بفرح القيامة الذي سيبقى معنا إلى دهر الداهرين.

+ الناسا والكتاب المقدّس

صرّح السيد هارولد هيل، رئيس شركة Curtis Engine في بالتيمور – الولايات المتحدة، ومستشار وكالة الفضاء الأميركية NASA، أن علماء الوكالة توصّلوا إلى دلائل تبرهن صحة الكتاب المقدّس، وأن الله الخالق ما زال يضبط الأمور، وما توصّل إليه روّاد الفضاء والعلماء هو أروع ما حدث لهم طيلة حياتهم.

ومما قاله أن العلماء كانوا يدرسون المواقع التي ستكون فيها الشمس والقمر والكواكب الأخرى في الفضاء بعد مئة سنة وبعد ألف سنة من اليوم لكي يحدّدوا مسارات المركبات الفضائية التي سوف يطلقونها في المستقبل فلا تصطدم بشيء. وعندما طلبوا من أجهزة الكومبيوتر إعطاء الحسابات في الماضي وفي المستقبل، توقّفت الأجهزة وأعطت إشارة خطر حمراء، التي تعني أن هناك خطأ ما إما في المعلومات المعطاة للكومبيوتر أو في النتائج المقارنة مع المتعارف عليه. أرسل العلماء بطلب المتخصّصين بالكومبيوتر لمعرفة الخطأ فأشار هؤلاء إلى فقدان يوم في الفضاء في الماضي، ولم يستطيعوا حلّ اللغز: أين هو هذا اليوم المفقود؟

بعد مداولات طويلة وعميقة أعلن أحد العلماء، وكان مسيحيا: عندما كنت طفلا كنت أذهب إلى "مدرسة الأحد" التابعة للكنيسة وقد أخبرونا عن وقوف الشمس في مكانها في الفضاء يوما كاملا. لم يشأ العلماء تصديقه ولكنهم لم يستطيعوا حل اللغز فطلبوا منه أن يريهم القصة. فتح العالم سفر يشوع بن نون في الكتاب المقدس، وقرأ لهم كيف "أسلم الرب الأموريين أمام بني إسرائيل وقال أمام عيون إسرائيل: يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي أيلون. فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوبا في سفر ياشر. فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب **نحو يوم كامل**. ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده" (يشوع ١٠:١٢-١٤).

فرح العلماء ورجعوا بالكومبيوتر إلى الزمن الذي كان فيه يشوع ووجدوا فعلا أن الزمن المفقود هو ٢٣ ساعة و٢٠ دقيقة أي نحو يوم كامل كما قال كتاب يشوع. لقد كان هذا

الاكتشاف مهماً بالنسبة لهم، لكنه غير كاف إذ يبقى إيجاد حل للدقائق الأربعين الباقية من اليوم. هنا تدخّل العالم المسيحي مجدداً وقال أنه قرأ في مكان ما من الكتاب المقدّس أن الشمس تراجعت. ظنّ العلماء أنه فقد عقله لكن رأيهم تبدّل عندما قرأ على مسامعهم ما قاله أشعياء للملك حزقيا المريض، لما بشره بشفائه: "وقال حزقيا لأشعياء: ما العلامة أن الرب يشفيني فأصعد في اليوم إلى بيت الرب. فقال أشعياء هذه لك علامة من قبل الرب على أن الرب يفعل الأمر الذي تكلّم به. هل يسير الظل عشر درجات أو يرجع عشر درجات. فقال حزقيا إنه يسيرٌ على الظل أن يمتد عشر درجات، لا بل يرجع الظل إلى الوراء عشر درجات. فدعا أشعياءُ الربَّ فأرجع الظلّ بالدرجات التي نزل بها بدرجات آحاز عشر درجات إلى الوراء" (٢ملوك ٢٠:٨-١١). هذا الكلام يعني أن الطبيعي أن تتقدّم الشمس عشر درجات، لكنها، بأمر الرب، رجعت عشر درجات. الأمر المذهل هو أن الدرجات العشر الشمسية تساوي أربعين دقيقة بالتمام.

٢٣ ساعة و٢٠ دقيقة (من يشوع بن نون) و٤٠ دقيقة (من حزقيا وأشعياء) تساوي ٢٤ ساعة أي يوماً كاملاً هو اليوم المفقود.

ننقل هذا الخبر لذوي القلوب الغليظة لكي يعوا أن الرب كان وسيبقى إلى الأبد يضبط جميع أمور الكون، وأنه يقف وراء كل حدث في حياتنا. فالمجد لله الذي أعطانا نعمة لنكشف هذه الأمور ونزداد نعمة فوق نعمة.

+ تأمل

كثيرة هي الشهادات الحقيقية لصالح المسيح: فمن السماء شهد الآب لابنه (متى ٣:١٧)، وشهد الروح القدس بحلوله في صورة جسمية كأنه حمامة (لو ٣:٢٢)؛ وشهد الملاك جبرائيل عندما بشّر مريم (لو ١:٢٧-٣٨)؛ وشهدت العذراء الأم؛ وشهد موضع المذود المقدّس (لو ٢:٧)؛ وشهدت مصر التي استقبلت الرب في الجسد، عندما كان طفلاً (متى ٢:١٤)؛ وشهد سمعان الشيخ عندما حمله على ذراعيه، وقال: "ربّ، أَطلق الآن عبدك بسلام، وفاقاً لقولك. فقد رأت عينايَ ما أعددته من خلاص للشعوب كلها" (لو ٢:٢٨-٣١)، وشهدت له حنّة النبية، الأرملة التقية الناسكة؛ وشهد يوحنا المعمدان، أعظم الأنبياء، ورأسُ العهد الجديد، الذي يصل نوعاً ما في شخصه العهدَين، القديمَ والجديد، وشهد له، بين الأنهار، نهرُ الأردن، وبين البحار، بحيرة طبريا، وشهد له العميُ والعرج، والأمواتُ الذين قاموا (من القبور)، والشياطين الذين قالوا: "ما لنا ولك يا يسوع الناصري؟ أأتيت لتهلكنا! لقد عرفناك مَن أنت: إنك قدوس الله" (مر ١:٢٤). وشهدت له الرياح التي انتُهِرت فسكنت، والخبزات الخمس

التي تكاثرت فأشبعت خمسة آلاف، وخشبةُ الصليب الكريمة التي تُرى عندنا حتى يومنا هـذا، وتملأ الأرض بما اقتطِع منها بإيمان من ذخائر، ونخيلُ الوادي الذي زوّد بسعفه الأطفال الذين هتفوا عندئذ للمسيح، وبستان جتسماني الذي لا يزال يرشد الذين يفهمون إلى يـــهوذا، وهـــذه الجلجلة المقدّسة التي تشرف على المدينة، والقبر المقدّس، والحجر الذي دُحرِج، والشمس التي تضيء اليوم، وانكسفت في يوم الآلام الخلاصية، والظلمة التي حدثت عندئذ، مـــن الســـاعة السادسة حتى التاسعة، على الأرض كلها، والنور الذي أضاء مـــن الســـاعة التاســـعة حتـــى الغروب، وجبل الزيتون الذي صعد منه إلى أبيه، والأبواب الأبدية التي دخل منـــها الـــرب، وقال عنها صاحب المزامير: "إرفعوا أبوابكم، أيها الرؤساء، وارتفعي أيتها الأبواب الأبديـــة ليدخل ملك المجد" (مز ٢٣:٧)، وأعداء ذلك الزمان، وأحدهم الطوباوي بولس، الـــذي كـــان عدواً للمسيح بعض الوقت، ثم خدمه زمناً طويلاً، والرسل الإثنا عشر الذين بشّروا بـــاللحق، لا بالقول فقط، بل بالعذاب والموت. ويشهد ظِلّ بطرس الذي كان بمجرّد وقوعه على المرضـــى يشفيهم باسم يسوع، والمناديلُ والمآزر التي كانت قد لمست جسم بولس، فتشفي المرضى بقوّة المسيح (أعمال ١٩:١٢). والفُرس والغوط يشهدون، وكل الذين أتوا من الوثنية ومـــاتوا فـــي سبيل الذي لم يروه بأعين الجسد.

هل يمكن بعد كل هذه الشهادات العظيمة، المختلفة، العديدة، أن نرفض الإيمان بشهادة المسيح؟ إن كان لا يزال هناك أحد لا يؤمن، فليؤمن الآن. وإن كان مؤمناً، فليزدد إيماناً بربنا يسوع المسيح، وليعترف بذلك الذي يتلقى منه اسمه. أنت تدعى مسيحياً، فاحفظ جيـــداً هـــذا الاسم. ولا تكن سبباً في التجديف على ربنا يسوع المسيح، ابن الله، بـــل لتضـــيء أعمـــالك الصالحة بين الناس لكيما، إذا رأوها، يمجّدوا في المسيح ربنا الآب في السموات لـــه المجـــد الآن وإلى أبد الدهور. آمين.

القديس كيرلّس الأورشليمي